عناصر تشكيل التنغيم في اللغة العربية

دكتور/ عصام تمَّام عبد الحميد علي
مدرس اللغة بكلية الآداب بقنا
جامعة جنوب الوادي، مصر

الكلمات المفتاحية: التنغيم، المقطع الصوتي، النبر، الكمية الصوتية، المدة الصوتية.

ملخص البحث: يتناول هذا البحث العناصر الصوتية التي تسهم في تشكيل التنغيم ومن ثمَّ في تحليله، فيتناول المقطع باعتباره حامل النغمة المفردة والتي تعتبر مفردةً من مجموع النغمات التي تشكِّل التنغيم، كما أنه يحمل النبر الذي تتحول من خلاله النغمة من درجة إلى أخرى صعودًا وهبوطًا، وفي هذا يتناول البحث المقطع وتعريفه وكيفية تحديده في الكلام، وكذلك أقسامه، كما يتناول النبر باعتباره القيمة التي تتداخل وتتشابك في علاقتها مع التنغيم، ليبين تعريفه والفرق بينه وبين التنغيم، والعلاقة المتشابكة المعقدة بينهما، كما يبين أقسامه، أيضًا يتناول هذا البحث قيمتي الكمية الصوتية والمدة باعتبارهما عنصرين مهمَّين من العناصر التي تتحكم في تنغيم الكلام.

مقدمة:

التنغيم، كما عرَّفه الدكتور تمَّام حسَّان، هو "ارتفاع الصوت وانخفاضه أثناء الكلام"(١)، وهو أيضًا "الإطار الصوتي الذي تقال به الجملة في الكلام" (٢)، وبنفس المفهوم يعرفه الدكتور محمود السعران بأنه "المصطلح الصوتي الدال على الارتفاع والانخفاض في درجة الجهر في الكلام"(٣)، وهذا الارتفاع والانخفاض "نتيجة لدرجة توتر الوترين الصوتيين مما يؤدي إلى اختلاف الوقع السمعي"(٤)، فالجملة الواحدة "لابد أن تشتمل على درجات مختلفة من درجة الصوت، ما بين عالية، ومنخفضة، ومستوية"(٥)، ويميل أكثر الباحثين إلى أن "أشهر من نبّه على دراسة التنغيم من المحدثين العرب، الدكتور إبراهيم أنيس في كتابه الأصوات اللّغويّة"(٦)، وإذا كان البعض يرى أن بداية تحديد التنغيم واستعماله كانت على يد الدكتور أنيس؛ فإن هذه البداية لم تكن دقيقة ؛ حيث إن أمر التنغيم لم يكن قد استقر في ذهنه بعد، ولم يضع له الحدود ولا النماذج"، بل نجد الدكتور أنيس يخلط بين موسيقى الشعر والتنغيم، يقول: "كما يحتاج الشعر إلى نظام خاص في توالي المقاطع وهو الذي يسمي الوزن، يتطلب أيضا نغمة موسيقية خاصة في إنشاده من صعود وهبوط intonation"(٧)، وهنا يرى الباحث أن البداية الفعلية لمعرفة التنغيم معرفة لغوية علمية فقد جاءت على يد الدكتور تمَّام حسَّان الذي طبَّق المنهج الوصفي في تحديد ماهية التنغيم واستعمالاته ونماذجه، فقد "قدَّم لنا الدكتور تمَّام حسَّان عرضاً موجزاً لقوالب التنغيم في اللغة العربية مقيسة على ما جرَّبه وقاسه في لهجة عدن أثناء بحثه في لندن "(٨).

والتنغيم ظاهرة من ظواهر التشكيل الصوتي، ومن ثم فهو يمثل نظامًا صوتيًّا أو بمعنى أدق نظامَ تشكيل صوتي، فهو يشير إلى "الصورة العامة التي تتمثل في مجموعة

(١) مناهج البحث في اللغة، د. تمَّام حسَّان، ١٦٤.

(٢) اللغة العربية معناها ومبناها، د. تمَّام حسَّان، ٢٢٦.

(٣) علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، د. محمود السعران، ٢١٠.

(٤) مدخل إلى علم اللغة، د. محمود فهمي حجازي، ٨٢.

(٥) التنغيم في التراث العربي، د. عليان بن محمد الحازمي،

(٦) دور التنغيم في تحديد معنى الجملة العربية، د. سامي عوض، ود. عادل علي نعامة، ٨٩.

(٧) الأصوات اللغوية، د. إبراهيم أنيس، ٣٣٢.

(٨) قضايا أساسية في ظاهرة التنغيم في اللغة العربية، د. محمد صالح الضالع، ٢٨.

النغمات التي يشملها نوعٌ خاصٌّ من أنواع الحدث اللغوي"[١]، وهذه الصورة العامة ــ كما يرى الدكتور عليان الحازمي ــ هي "مجموعة معقدة من الأداء الصوتي بما يحمل من نبرات، وفواصل صوتية، وتتابع مطرد للسكنات والحركات، التي بها يحدث الكلام وتتميز دلالاته"[٢]، وهذه المجموعة المعقدة هي ملامح "تقع خارج البنية اللغوية وهي ما يطلق عليها علماء اللغة والأصوات الملامح غير التركيبية لأنها لا تدخل في جوهر التراكيب اللغوية وتتمثل في المقطع ، النبر والتنغيم"[٣].

ولقد ركز الباحثون في دراستهم للتنغيم على دلالته في الكلام دون الدخول في كيفية تشكُّله وعناصره التي يتشكل منها وبالتالي تحليله، ومن ثم يقوم هذا البحث بهذا الدور من خلال تحليل التنغيم وعناصر تشكيله من خلال تحليل الصورة العامة التي تشكِّله، ولأجل الوصول إلى فهم هذه الصورة العامة وتحديد نماذجها لابد من اتخاذ الجزء الذى يكوِّن هذه الصورة أداةً تحليليةً في الوصول إلى هذه الغاية، وهذا ما يسمى بالمنهج التحليلي، وهو يعني "تقسيم الشيء إلى أجزاء واكتشاف صفات كل جزء"[٤]، وأفضل وسيلة تحليلية أو تقسيمية للتنغيم تكون بتقسيم الكلام أو تحليليه إلى مقاطع صوتية؛ لأن المقطع هو حامل النغمة، وله من الصفات ما يساعد في كشف الصورة العامة للنموذج التنغيمي، فهو ــ أي المقطع ــ يحمل النبر المسئول عن نوع اللحن التنغيمي بوقوع النغمة على آخر مقطع منبور في النموذج، كما أن للمقطع كمية صوتية ومدة تؤثران في النغمة، وبهذا يمكن اعتبار درجة المقطع أو نغمته والنبر والكمية الصوتية والمدة الصوتية ملامح تمييزية تميِّز التنغيم.

ويتناول هذا البحث التحليل المقطعي للتنغيم من خلال النقاط الآتية:

١ــ المقطع والحدث اللغوي.

٢ــ المقطع الصوتي وأقسامه.

٣ــ صفات المقطع الصوتي:

---

(١) أصوات اللغة، د. عبدالرحمن أيوب، ١٥٥.

(٢) التنغيم في التراث العربي، ٤.

(٣) التنغيم وأثره في اختلاف المعنى ودلالة السياق، سهل ليلى، ٢.

(٤) أصوات اللغة، ١٢٩.

أ) صفة الإسماع.
ب) صفة النبر.
ج) صفة الطول والقِصَر.

٤ــ أثر صفات المقطع في تشكيل التنغيم.
أ) أثر درجة المقطع في التنغيم.
ب) أثر نبر المقطع في التنغيم
ج) أثر الكمية الصوتية والمدة في التنغيم.

وتفصيل الكلام في هذه النقاط على النحو التالي:

المقطع والحدث اللغوي

ينتمي التنغيم إلى نظام التشكيل الصوتي أو ما يسمى بالنظام الفونولوجي، وهذا النظام "ينظر إلى الأصوات ويحللها من خلال وجودها في بنية لغوية"(١)، هذه البنية اللغوية هي التي يُطلق عليها الحدث اللغوي، ويتشكَّل هذا الحدث من مقاطع صوتية مكوَّنة من عدد من الأصوات أو الفونيمات، ويمكن تحديد الحدث اللغوي بما أسماه الدكتور تمَّام حسَّان المجموعة الكلامية والمجموعة المعنوية، وتشير أولاهما إلى "سلسلة من الأصوات اللغوية المتصلة في نَفَسٍ واحد واقعة بين سكْتين"(٢)، وقد تكون المجموعة الكلامية مجموعة معنويةً في ذات الوقت، إذا أفادت معنًى مستقلا بذاته، ومثال ذلك قوله تعالى: (كل شيء هالك إلا وجهه) (القصص من الآية ٨٨)، فهي سلسلة صوتية في نَفَس واحد واقعة بين سكْتين، أي أنها تمثل مجموعة كلامية، كما أنها تؤدي معنًى تامًّا وهي بهذا مجموعة معنوية، فإذا لم تؤدِّ المجموعة الكلامية معنًى تامًّا تضاف إليها مجموعة كلامية أخري أو أكثر ليتم بمجموعها المعنى وتسمى هذه معًا المجموعة المعنوية، ومثالها قوله تعالى: (فإذا برق البصر وخسف القمر وجمع الشمس والقمر يقول الإنسان يومئذٍ أين المفر) (القيامة ٧ ـــ١٠)، فكل آية من هذه الآيات هي مجموعة كلامية، وبمجموعها معًا تتشكل مجموعة معنوية، أي يتشكل معنى تامٌّ، وكلتا المجموعتين تشتمل على عدد من المقاطع الصوتية المتوالية، فإذا نظرنا إلى هذه

(١) مقدمة لدراسة اللغة، حلمي خليل، ١٩٣.
(٢) مناهج البحث في اللغة، ١٦٨.

المتوالية من المقاطع وجدناها غير ثابتة الدرجة أو المستوى، "فقد يكون المقطع الأول منخفض الدرجة ثم يليه مقطع آخر عالي الدرجة ثم ثالث منخفض الدرجة وهكذا"[١].

وبهذا فهاتان المجموعتان ــ الكلامية والمعنوية ــ هما الحدود الكَمِّية أو ما نسميه الحدث اللغوي ومن خلالهما يتم التحليل المقطعي للتنغيم.

المقطع الصوتي وأقسامه

في محاولته تحديد مصطلح للمقطع الصوتي، يرى الدكتور تمَّام حسَّان أن "هذا الاصطلاح مما يصعب تحديده صعوبةً تامَّة"[٢]، وفي ذات الوقت يرى أن "المقاطع تعبيرات عن نَسَقٍ منظَّم من الجزئيات التحليلية، أو خفقات صدرية في أثناء الكلام، أو وحدات تركيبية أو أشكال وكميات معينة"[٣]، ويرى الدكتور تمَّام حسَّان أن "نختار لدراسة المقاطع العربية وجهة النظر الأولى، أي اعتبارها تعبيرات عن أنساق منظَّمة من الجزئيات التحليلية "[٤].

ينبني التقسيم المقطعي للحدث اللغوي على أساس تشكيل الأصوات واختلافها في صفاتها وقوة إسماعها وضعفها، "فليس الحدث اللغوي سوى مجموعة من الأصوات التي تختلف قوة إسماع بعضها عن قوة إسماع البعض الآخر، ولولا هذا الاختلاف بين درجة إسماع الأصوات لما تميَّز بعضها عن بعض، ولما أمكن التفاهم"[٥]، وعلى هذا الأساس عرَّف الدكتور عبد الرحمن أيوب المقطع بأنه "مجموعة من الأصوات التي تمثل قاعدتين تحصران بينهما قمة"[٦] وقد أقام الدكتور أيوب هذا التعريف على أساس الدرجة الصوتية؛ فجعل للمقطع درجات ثلاث هي بالترتيب (منخفضة، فمرتفعة، فمنخفضة)، وهذه الدرجات هي للمقطع الواحد، فالدرجة المرتفعة تمثل قمة المقطع، والدرجتان المنخفضتان تمثلان قاعدتي المقطع، وهذا التفاوت في الدرجة يقوم على عدد الذبذبات أو الدرجة الصوتية.

---

(١) أصوات اللغة، ١٥٣.

(٢) مناهج البحث في اللغة، ١٣٢.

(٣) مناهج البحث في اللغة، ١٣٨.

(٤) مناهج البحث في اللغة، ١٤٠.

(٥) أصوات اللغة، ١٣٧.

(٦) أصوات اللغة، ١٣٩.

ولقد أشار الدكتور أحمد مختار عمر إلى أهمية المقطع في تناول النبر والإطالة والتنغيم، فذكر أنه بمثابة درجة في السلم الهرمى للوحدات الصوتية المتلاحقة وهى الفونيم والمقطع ثم مجموعة المقاطع بما تحمله من نبر وتنغيم(١).

وللمقطع الصوتي في اللغة العربية خصائصه فهو "لا يبدأ بحروف العلة، فهذه الحروف تمثل قمة المقطع، فهي بلا شك مركز المقطع العربي حتى لتبدو من خلالها صلات معيَّنة بين الكمية وبين النبر والتنغيم ، ومن ثم تعتبر حروف العلة من العناصر الضرورية في بناء نظامي النبر في الصرف، والتنغيم في النحو"(٢)، وهذه الحروف العلِيَّة تمثل الأصوات المقطعية؛ لأنها تمثل قمة المقطع، وهى أقوى الأصوات إسماعًا، بل إنها "تعتبر أساسًا لقوة الإسماع Sonority في هذه اللغة الراسخة القدم في تاريخ المشافهة"(٣).

أما أنواع المقاطع وعددها في اللغة العربية فهي على هذا النحو:

١ــ القصير المقفل: ويرمز له بالرمز (ع ص) ومثاله أداة التعريف (الــ) وهو مقطع تشكيلي لا أصواتي؛ لأن "الأصوات لا تعترف بأن تبتدئ المجموعة الكلامية بحركة، ولذلك تعمد إلى همزة تُنشئُها قبل هذه الحركة، وتتخذها قنطرة للنطق بها، ثم تعتبر هذه الهمزة من بنية المقطع(٤)، والأصل فيه (ص) فقط، ولذلك أسماه الدكتور تمَّام حسَّان المقطع الأقصر.

٢ــ القصير المفتوح: يرمز له بالرمز (ص ع) ومثاله مقاطع الكلمات (ش/ر/بَ، س/أ/لَ، ح/ك/مَ).

٣ــ المتوسط المقفل: يرمز له بالرمز (ص ع ص) ومثاله (مَنْ ، مِنْ، هَلْ، سلْ) .

٤ــ المتوسط المفتوح: يرمز له بالرمز (ص ع ع) ومثاله (لا، ما، في) .

٥ــ الطويل المقفل: يرمز له بالرمز (ص ع ع ص) ومثاله (قالْ، مالْ، سالْ) .

٦ــ الطويل مزدوج الإقفال: يرمز له بالرمز(ص ع ص ص) ومثاله(عبْدْ، مجْدْ).

---

(١) ينظر: دراسة الصوت اللغوي، د. أحمد مختار عمر، ٢٨٢.

(٢) اللغة العربية معناها ومبناها، ٧٢.

(٣) اللغة العربية معناها ومبناها، ٧١.

(٤) مناهج البحث في اللغة، ١٤٥.

صفات المقطع الصوتي

يتميز المقطع الصوتي في اللغة العربية بعدد من الصفات، تساهم في تشكيل التنغيم في اللغة العربية وبالتالي في تحليله، ومن هذه الصفات صفة الإسماع وهي تعني درجة إسماع المقطع أو نغمته، وصفة النبر، وكذلك صفة الطول والقِصَر ويُقصد بها الكمية الصوتية والمدة، وتفصيل القول في هذه الصفات في النقاط التالية:

أ) صفة الإسماع

تُعرف الدرجة الصوتية أنها "عدد الذبذبات التي ينتجها المصدر المتذبذب في الثانية"، وهذه الذبذبات تنتج عن تردد الوترين الصوتيين أثناء الكلام، مما يُحدِث تغيرًا في درجة الصوت، وهذا التغير و"نحن نتحكم في التغيرات التي تُحدِث الدرجة بالتحكم في العضلات التي تسيطر على الوترين الصوتيين، وحينما يزداد التوتر لدرجة يصبح معها الوتران مشدودين تمامًا فإنهما يتحركان بسرعة أكثر، وبذلك ينتجان عددًا أكبر من النبضات في الثانية وهى المطلوبة لإنتاج صوت ذي درجة مرتفعة، ومن الناحية الأخرى فعند نطق كلمة بدرجة منخفضة فإن الوترين يكونان مرتخيين فقط أثناء تلاصقهما، حتى أنهما حين يبتعد بعضهما عن بعض نجدهما يستغرقان وقتًا أطول – إلى حدٍّ ما – لكى يعودا إلى وضع الإغلاق"(١)، وقد رأي بعض الباحثين أن التنغيم "يختلف من متكلم إلى آخر بقدر الفوارق الخلقية في الوترين الصوتيين اللذين يحدثان النغمة الموسيقية عن طريق ذبذباتهما"(٢) ، في حين ينفي بعضهم ذلك فيرى أن "التنغيم لا يعتمد على الصفات الطبيعية لجسم الإنسان فقط، وإنما هو ظاهره لغوية مبرمجة يتحكم فيها الدماغ الذى يعطى الأوامر لبعض عضلات الحنجرة التي تتحكم في طول وشدة الوترين الصوتيين لإحداث نغمة معينة لها معنى"(٣).

وللمقطع ثلاث درجات صوتية، يطلق على أعلاها قمة، والأخريين قاعدتين، وهذا ما يشير إلى مصطلح (النغمة)، ويقصد بها "تنغيم المقطع الواحد في عموم المجموعة الكلامية"(٤)، أو درجة الصوت في المقطع الواحد.

---

(١) مبادئ علم الأصوات الأكوستيكي، بيتر ليدفوجد، ٢٦.

(٢) علم الفصاحة العربية؛ مقدمة في النظرية والتطبيق، د. محمد على رزق خفاجي، ٢٠٠، ٢٠١.

(٣) علم الصوتيات الموجي والسمعي عند علماء المسلمين القدماء، يوسف الهليس، ١١٠.

(٤) مناهج البحث في اللغة، ١٦٦.

ولما كان للمقطع ثلاث درجات من الإسماع: درجة منخفضة ثم درجة مرتفعة ثم درجة منخفضة، وكان الارتفاع في هذه الحالة يسمى القمة والانخفاضان يسميان قاعدتين، فإن "الأذن لا تسمع ــ بل تُهمِل ــ هذا النوع من الاختلاف بين قاعدتي المقطع وقمته إذا قصرت مدة القاعدة وظل الاختلاف بينهما في الدرجة محدوداً" [(١)]، ومن ثم يُنظر إلى درجة المقطع من خلال درجة قمته؛ هذا لأن القاعدتين في هذه الحالة مهملتان قياسًا بالقمة.

ب) صفة النبر:

النبر صفة من صفات المقطع الصوتي وقد عرفه الدكتور تمَّام حسَّان بأنه "وضوح نسبيٌّ لصوت أو مقطع إذا قورن ببقية الأصوات والمقاطع في الكلام، ويكون نتيجة عامل أو أكثر من عوامل الكمية والضغط والتنغيم"[(٢)]، كما يعرفه ماريوباي بأنه "إعطاء مزيد من الضغط أو العلو لمقطع من بين مقاطع متتالية"[(٣)]، وبنفس المعنى يعرفه جان كانتينو بأنه "إشباع مقطع من المقاطع، وذلك بتقوية ارتفاعه الموسيقي، أو شدته، أو مداه، أو عدة عناصر منها في آن واحد"[(٤)].

وعلى الرغم من أن الدكتور إبراهيم أنيس يرى أنه" لا يوجد لدينا من دليل يهدينا إلى موضع النبر في اللغة العربية كما كان ينطق بها في العصور الإسلامية الأولى، إذ لم يتعرض له أحد من المؤلفين القدماء"[(٥)]، إلا أن المحدثين اهتدوا إلى وجود نوعين من النبر في اللغة العربية؛ هما النبر الصرفي والنبر السياقي أو نبر الكلام المتصل، و"الفرق ما بين النبر الصرفي والنبر في الكلام هو فرق ما بين مقررات القاعدة ومطالب السياق، وبهذا يصبح النبر في الكلام هو الظاهرة الموقعية؛ لأنه نبر الجمل المستعملة فعلاً وهى ميدان الظواهر الموقعية، أما النبر في نظام الصرف فهو نبر

(١) أصوات اللغة، ١٥٣.

(٢) مناهج البحث في اللغة، ١٦٠.

(٣) أسس علم اللغة، ماريوباي، ترجمة أحمد مختار عمر، ٩٣.

(٤) دروس في علم أصوات العربية، جان كانتينو، ترجمة د. صالح القرمادي ، ١٨٨.

(٥) الأصوات اللغوية،٩٩.

الكلمة المفردة أو الصيغة المفردة على الأصح وهو نبر صامت صمت القاعدة نفسها وصمت اللغة من بعدها"[١]

و"ينقسم النبر بحسب (القاعدة) من حيث القوة والضعف إلى قسمين:

أ) النبر الأوَّلي: ويكون في الكلمات والصيغ جميعًا لا تخلو منه واحدة منها .

ب) النبر الثانوي : وهو يكون في الكلمة أو الصيغة الطويلة نسبيًّا بحيث يمكن لهذه الكلمة أن تبدو للأذن كما لو كانت كلمتين، أو بعبارة أكثر دقة عندما تشتمل الكلمة على عدد من المقاطع يمكن أن يتكون منه وزن كلمتين عربيتين"[٢].

ويقع النبر الأولي في اللغة العربية في أربعة مواضع، هي:

١- على المقطع الأخير إذا كان من النوع الطويل نحو المقطع (عان) من كلمة (استعانْ)، والمقطع (دان) من كلمة (استدانْ)، وعلى المقطع الذى يمثل كلمةً واحدةً بأكملها أيًّا كان نوع هذا المقطع ؛ نحو: زِد، لا، حالْ، قلْ.

٢ – على المقطع قبل الأخير إذا كان هذا المقطع متوسِّطاً ؛ وكان المقطع الأخير:

- قصيرًا ؛ نحو المقطع (دث) من كلمة (أحدَثْتَ).
- متوسطًا؛ نحو المقطع (عَلْ) من كلمة (معلِّم).

ويقع على ما قبل الأخير أيضًا حال كونه قصيراً تبدأ به الكلمة ؛ نحو المقطع (كُ) من كلمة (كُتُبْ)، أو مسبوقاً بالمقطع الأقصر، والذى يتوصل إلى النطق به بهمزة الوصل نحو المقطع (حــَ) من (انحبسْ)، والمقطع (طَ) من (انطلق).

وأيضا يقع على ما قبل الأخير حال كونه طويلاً ؛ ولم يكن الأخير طويلا، نحو المقطع (جُونْ) من كلمة (أتُحاجُّونِّي)

٣ــ يقع على المقطع الثالث من الآخر إذا كان :

- قصيراً متبوعاً بقصيرين نحو المقطع (لَ) من (علَّمكَ)
- قصيراً متبوعاً بقصير ومتوسط نحو المقطع (رَ) من كلمة (أكرمها).
- متوسطاً متلوًّا بقصيرين نحو المقطع (بيــْ) من كلمة (بيْتُكَ)، والمقطع (أُخــْ) من كلمة (أُخرِجَ).
- متوسطاً متبوعاً بقصير ومتوسط نحو المقطع (أُخْ) من كلمة (أُخرِجوا).

---

(١) اللغة العربية معناها ومبناها، ١٧٠.

(٢) اللغة العربية معناها ومبناها، ١٧٢.

٤ــ يقع على المقطع الرابع من الآخر إذا كان الأخير متوسطًا والرابع قصيرًا وبينهما قصيران، والأخير هنا قد يكون تنوينًا أو إضمارًا أو إشباعًا نحو المقطع (يـَـ) من كلمة (يعِدُهم).

أما مواضع النبر الثانوي فهي متمثلة في الآتي :

١- يقع على المقطع السابق للأولي حال كون هذا السابق طويلاً وذلك نحو المقطع (ضَالْ) من كلمة (الضالين).

٢- يقع على المقطع الثاني قبل الأولي إذا كان:

- متوسطاً وما يليه متوسط نحو المقطع (يَسْ) من كلمة (يستخفونَ).
- متوسطاً وما يليه قصير نحو المقطع (مُسْ) من كلمة (مستقيمْ).
- طويل وما يليه قصير نحو المقطع (هَامْ) من كلمة (مُدْهَامَّتَانْ).

٣ــ يقع على المقطع الثالث قبل الأولي إذا كان هو وما يليه والتالي لما يليه في إحدى الصور الآتية :

- متوسط فقصير فمتوسط ، نحو المقطع (يَسْ) من كلمة (يستقيمونَ).
- متوسط فقصير فقصير، نحو المقطع (مُحْ) من كلمة (محترمونَ).
- قصير متبوع بقصيرين، نحو المقطع (كَ) من كلمة (كلمتان)[1]. ويمكن تلخيص هذه المواضع من خلال الجدول التالي:

مواضع النبر وشروط كل موضع			تمثيل النبر على المقاطع الصوتية				
م	المقطع المنبور	شروط المقطع المنبور	الخامس من الآخر	الرابع من الآخر	الثالث من الآخر	ما قبل الأخير	الأخير
١	الأخير	إذا كان طويلا			اسْـ	تَـ	قالْ (طويل)
		إذا كان يمثل كلمة واحدة					قُمْ (كلمة ذات مقطع

(١) يُنظر: مناهج البحث في اللغة، ١٦٠-١٦٤، واللغة العربية معناها ومبناها، ١٧٢- ١٧٥.

مواضع النبر وشروط كل موضع			تمثيل النبر على المقاطع الصوتية				
م	المقطع المنبور	شروط المقطع المنبور	الخامس من الآخر	الرابع من الآخر	الثالث من الآخر	ما قبل الأخير	الأخير
							واحد)
٢	قبل الأخير	إذا كان متوسطًا متبوعًا بقصير			أخـْ	رَجْـ (متوسط)	ت (قصير)
		إذا كان متوسطًا متبوعًا بمتوسط			مـُ	عَلْـ (متوسط)	لِمْ (متوسط)
		إذا كان قصيرًا تبدأ به الكلمة				كـُ (قصير)	تب
		إذا كان مسبوقًا بمقطع أقصر			انْـ (أقصر)	حَـ	بسْ
		إذا كان طويلا متبوعًا بغير طويل	أ	تـُ	حاجْـ	جُونْ (طويل)	ني (ليس طويلا)
٣	الثالث من الآخر	إذا كان قصيرًا متبوعًا بقصيرين		عَلْـ	لـَ (قصير)	مـَ (قصير)	كَ (قصير)
		إذا كان قصيرًا متبوعًا بقصير فمتوسط		أكْـ	رَ (قصير)	مَـ (قصير)	ها (متوسط)
		إذا كان متوسطًا متبوعًا بقصيرين			بيْـ (متوسط)	تَـ (قصير)	كَ (قصير)
		إذا كان متوسطًا متبوعًا بقصير فمتوسط			أُخْـ (متوسط)	رِ (قصير)	جوا (متوسط)
٤	الرابع من الآخر	إذا كان قصيرًا متبوعًا بقصيرين فمتوسط		يَـ (قصير)	عِـ (قصير)	دُ (قصير)	هم (متوسط)

* الجزء المظلل يشير إلى المقطع المنبور.

هذه مواضع نبر القاعدة أو الكلمة، ومواضع نبر الاستعمال أو نبر السياق هي ذاتها مواضع نبر القاعدة سوى أنها تختلف عنها في أنها تحاول أن تقدم حلولاً لمشكلاتٍ سياقيه تحدثها بعض الظواهر مثل ظاهرة (التوصُّل)، وظاهرة (الكمية)، وظاهرة (هاء السكت) و(الإشباع)، و(الألف التي هي للندبة)، و(إطلاق القافية)، وغير ذلك مما يؤثر على البنية المقطعية ويغيِّرها. ولتوضيح الفرق بين النبر السياقي ونبر القاعدة يمكن التمثيل بالمجموعة الكلامية "قال القاضي الفاضل"؛ فالتركيب المقطعي لكل كلمة من كلمات هذه المجموعة يختلف عن التركيب المقطعي لكل منها في السياق المتصل؛ والسبب هو ظهور بعض الظواهر الموقعة التي حدثت في السياق، وأهمها :

ــ التوصل: حيث إن (قال القاضي) جاء فيها المقطع الثاني (للـــ) ليحل محل مقطعين هما (لَ) و(لْ).

ــ الكمية: حيث إن المقطعين (ضي) (ل) يصبحان مقطعًا واحدًا هو (ضِل) فتفقد الياء كميتها وتصير كسرة، إلي غير ذلك من تغيرات سياقية"[1].

إن معرفة حقيقة النبر ومواضعه ضرورة يفرضها المنهج التحليلي لأجل الوصف الدقيق للتنغيم ؛ لأن الظاهرتين لا تنفك إحداهما عن الأخرى، ومعرفة إحداهما تقتضى معرفة الأخرى، وهذا ما يؤكده البحث لاحقًا، وهنا نخلص إلى أن المقطع قد يكون منبوراً وقد لا يكون بحسب وجوده في السياق وبحسب ترتيبه في هذا السياق، و"المقطع والنبر متلازمان في الدرس والتحليل؛ ذلك أن المقطع حامل النبر، والنبر أمارة من أمارات تعرُّفه"[2].

ج) صفة الطول والقِصَر

يُعبَّر عن صفة الطول والقصر بمصطلح الكمية الصوتية، وهي تشير إلى طول وقِصَر المقاطع والحروف، وثمة مصطلح آخر يتداخل في الفهم مع مصطلح الكمية الصوتية وهو مصطلح المدة، وهي تشير إلى الزمن الذى ينقضي في نطق الصوت، وهو اصطلاح أصواتي يقاس بالثانية والدقية والساعة، وقد أدَّى التداخل بين المصطلحين إلى الخلط في فهمهما، فمثلا يستخدم الدكتور عبد الرحمن أيوب مفهوم المدة شرحًا لطول الصوت أو كميته؛ فيقول: "يقصد بطول الصوت ــ والصوت جزء

(١) اللغة العربية معناها ومبناها، ٣٠٦.

(٢) علم الأصوات، ٥٠٣.

من المقطع ــ الفترة التي يظل فيها عضو أو عدد من الأعضاء الصوتية على وضع بعينه أثناء إنتاج صوت بعينه"[١] إلا أنه "ينبغي أن يكون واضحًا تمامًا أن هناك فرقًا عظيمًا جدًّا بين كمية الحرف وبين المدة التي يستغرقها نطق الصوت، والكمية جزء من النمطية اللغوية ؛ فهي جزء من النظام ، والمدة هي الوقت الذى يستغرقه النطق؛ فهي جزء من تحليل الكلام، والكمية مقابَلات وقِيَمٌ خلافية، ولكن المدة تقاس بالثواني والوحدات الزمنية الأكبر من الثواني، والكمية هي الطول والقِصَر النسبيين غير المرتبطين بمقاييس الزمان الفلسفي، أما المدة فهي مرتبطة بالزمان الفلسفي، وأخيراً قد يكون الحرف مفرداً (أي قصير الكمية)، ولكن مدة نطقه تكون أطول من المشدد (أي الطويل الكمية) في بعض المواقع"[٢].

وهناك عوامل مؤثرة في الكمية الصوتية؛ منها السرعة والبطء في الأداء؛ فالأصوات الطويلة يقل طولها عندما تزيد سرعة الأداء، ويزيد طول الأصوات القصيرة عندما تقل سرعة الأداء و"طول الصوت أمر نسبي لا أمر مطلق، فالصوت الطويل هو الذى يكون أطول من غيره في نفس اللغة، ولو كان هذا الصوت الطويل ينطق أحياناً أقصر منه أحيانًا أخرى"[٣]

بناءً على أن الكمية تعنى الطول والقِصر في المقطع والحروف الصحيحة وحروف العلة؛ وُجِد في اللغة العربية نوعان من الحروف أحدهما المفرد والآخر الأطول منه المشدَّد، كما وجد فيها المقطع القصير والمتوسط والطويل، أيضا وجدت الحركة القصيرة، والمد الذى هو إشباع لهذه الحركة، وكل هذه الأنواع تخضع لنظام مُدَدٍ يخضع لظروف سياقية أو موقعية، فمثلاً لا يعنى تشديد الحرف طوله مدةً عن نظيره المفرد فمثلا الدال المفردة في (بعيدة) أطول مدة من نظيرتها المشددة في (أدَّب) إلى غير ذلك من المظاهر السياقية، وللكمية الصوتية والمدة أثر في تشكيل التنغيم كما سيأتي لاحقًا.

(١) أصوات اللغة، ١٤٧، ١٤٨.

(٢) اللغة العربية معناها ومبناها، ٣٠١.

(٣) أصوات اللغة، ١٤٩.

أثر صفات المقطع في التنغيم

تتضافر صفات المقطع التي ذكرناها لتُساهم في تشكيل التنغيم، ويمكن تناول أثر هذه الصفات في تشكيل التنغيم من خلال العناصر التالية:

أ) أثر درجة المقطع في التنغيم

بتوالي المقاطع في الحدث اللغوي يتدخل عنصر المخالفة أو المماثلة في تحديد الترتيب العام لدرجات الحدث اللغوي؛ حيث إن نغمة المقطع تكون بالقياس إلى نغمات المقاطع التي تشترك معه في الحدث اللغوي الواحد، ونغمة المقطع بدورها لا تخرج عن كونها:

ثابتة: وهي تشير إلى اتحاد درجات عدد من المقاطع، وقد رمز لها الدكتور تمَّام حسَّان برمز الشَرْطة (ــ) إذا كانت منبورة، أما إذا كانت غير منبورة فيرمز لها برمز النقطة(.)

النغمة الهابطة: وهي تشير إلى وجود درجة عالية في مقطعٍ أو أكثر تليها درجة أكثر انخفاضاً منها ويرمز لها الدكتور تمَّام حسَّان بالفاصلة المقلوبة.

النغمة صاعدة: وهى تشير إلى وجود درجتين لمقطع واحد إحداهما منخفضة تليها أخرى مرتفعة ويرمز لها الدكتور تمَّام حسَّان بالفاصلة هكذا (،).

النغمة الهابطة الصاعدة: وهى تشير إلى وجود ثلاث درجات للمقطع الواحد أولاها مرتفعة، والثانية منخفضة، ثم الثالثة مرتفعة.

النغمة الصاعدة الهابطة: وهي تشير إلى وجود درجة منخفضة في مقطع أو أكثر تتبعها نغمة أعلى منها ثم نغمة منخفضة عن الثانية ".

ويمكن التمثيل على توالي المقاطع وتباين درجاتها الصوتية بقوله تعالى: (كل شيء هالك إلا وجهه) (القصص من الآية ٨٨).

ويكون التقسيم المقطعي لهذا النص الكريم على النحو التالي:

النص	كلُّ شيء هالكٌ إلا وجهه										
التقسيم المقطعي	كُلْ	لُ	شَيِ	عِنْ	هَا	لِ	كُنْ	إِلْ	لا	وَجْـ	هَهْ
التمثيل المقطعي	ص ع ص	ص ع	ص ع ص	ص ع ص	ص ع ع	ص ع	ص ع ص	ص ع ص	ص ع ع	ص ع ص	ص ع ص
نوع المقطع	متوسط مقفل	قصير مفتوح	متوسط مقفل	متوسط مقفل	متوسط مفتوح	قصير مفتوح	متوسط مقفل	متوسط مقفل	متوسط مفتوح	متوسط مقفل	متوسط مقفل
المقاطع المنبورة ونوع النبر	منبور	غير منبور	منبور	غير منبور	منبور	غير منبور	غير منبور	منبور	غير منبور	منبور	غير منبور
نوع نغمة المقطع	ثابتة	ثابتة	هابطة	ثابتة	ثابتة	ثابتة	ثابتة	ثابتة	ثابتة	هابطة	ثابتة
رسم نغمات المقاطع	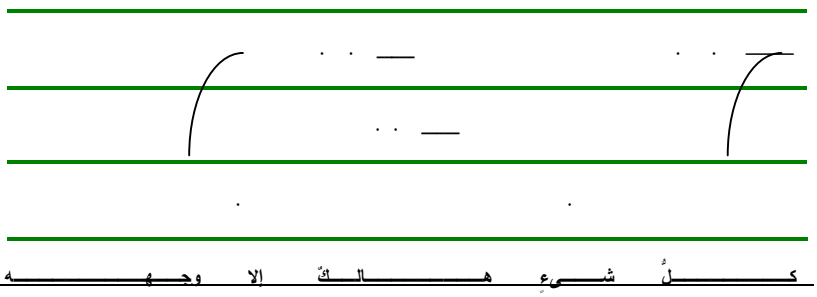										

(١) هذا النموذج التنغيمى نقلاً عن د. تمَّام حسَّان في مناهج البحث في اللغة، ص ١٦٧.

ومن هنا يتبين لنا أن معرفة درجة المقطع خارج المجموعة الكلامية مما هو مستحيل؛ لأن المسألة قياسية أو نسبية؛ حيث إن كل مقطع تحدد درجته من خلال ما يجاوره من مقاطع؛ فهو بالنسبة لما يجاوره من مقاطع إما أن يكون مستويًا معه أو هابطًا عنه أو صاعدًا عنه، أو صاعدًا هابطًا أو هابطًا صاعدًا، وهذا يعني أن تحديد نغمة المقطع يكون بالنظر إلى قِمَم مجموعة المقاطع الصوتية التي غالباً ما تكون غير ثابتة الدرجة أو النغمة.

والآن ننتقل من الكلام في درجات المقطع إلى موضوع اللحن التنغيمي في اللغة العربية، والذي يشير إلى "مجموع النغمات التى فى المجموعة الكلامية؛ أي الترتيب الأفقي للنغمات التى يشتمل النموذج أو الميزان عليها مع نظرة خاصة إلى النغمة المنبورة الأخيرة من هذا الترتيب"(١)، وهنا يظهر جليًّا أثر المقطع والنبر والدرجة الصوتية فى تشكيل التنغيم ، ويسمى اللحن بحسب نغمة المقطع المنبور الأخير في المجموعة الكلامية، وقد قسَّم الدكتور تمَّام حسَّان نظام التنغيم في الفصحى إلى"لحنين: الأول؛ وينتهي بنغمة هابطة على آخر مقطع وقع عليه النبر، والثاني وهو ينتهي بنغمة صاعدة على المقطع المذكور"(٢)، وبين هذين اللحنين يوجد ما يسمى بالنغمة المسطَّحة، وهي تعي وقوف المتكلم قبل تمَّام المعنى على نغمة ليست بالصاعدة ولا بالهابطة، وإنما هي مسطحة، ومن أمثلتها قوله تعالى: (فإذا برق البصر وخسف القمر وجمع الشمس والقمر يقول الإنسان يومئذ أين المفر) (سورة القيامة: ٧ ـــ ١٠).

وهنا يذهب الدكتور تمَّام حسَّان إلى أن "الوقف على (البصر) و (القمر) أولا و(القمر) ثانيًا وقفٌ على معنى لم يتم فتظل نغمة الكلام مسطَّحة دون صعود أو هبوط، أما الوقف عند (المفر) فالنغمة فيه هابطة؛ لأنه وقف عند تمام معنى الاستفهام بغير الأداة، أي الاستفهام بالظرف"(٣) ، ويُرجع حدوث النغمة المسطَّحة إلى أنه " كثيراً ما يرى المتكلم أن المعنى يتطلب تقسيم الجملة تنغيميًّا بحسب الاعتبارات الإلقائية إلى

(١) مناهج البحث في اللغة، ١٦٦.

(٢) اللغة العربية معناها ومبناها، ٢٩٩.

(٣) اللغة العربية معناها ومبناها، ٢٣٠.

فِقَر تنفُّسية تتصل بوجود مفاصل من الألفاظ كأدوات العطف وغيرها ؛ فيقف المتكلم عند كل فقرة تنفسية منها بنغمة مسطحة على نحو ما حدث فى الآيات"[١] .

فنغمات المقاطع الآيات (٧ ـــ ٩) متساوية في نغمات المقاطع الأخيرة لكلٍّ منها، بخلاف نغمة آخر مقطع منبور من الآية (١٠) والذي تكون النغمة فيه صاعدة.

وهنا يجب الانتباه إلى أن درجة إسماع قمة كل مقطع ـــ والتي تُتَّخذ معيارًا للمقارنة بين مقطع وآخر ـــ تكاد تكون نسبية غير محددة، ولكن يحددها الأداء، وقد ذكر الدكتور أحمد مختار عمر أنه "لما كانت نظرية المقطع قد قامت في أساسها على فكرة تفاوت الأصوات في درجات إسماعها فقد اهتم الأصواتيون ببيان درجة إسماع كل صوت، أو بترتيب الأصوات في مجموعات بحسب درجات إسماعها"[٢]، وهذا يعنى أن المقارنة بين مقطع وآخر تكون بالرجوع إلى ترتيب الأصوات في تلك المجموعات، إلا أن القضية أكبر من هذا الحد من السهولة والحفظ؛ حيث إن مثل هذه الترتيبات والتقسيمات تقريبية إضافة إلى أن "لكل صوت من الأصوات قوة إسماع الصوت تختلف اختلافاً جوهريًّا تبعًا لدرجته واتساعه، وهى أمور يمكن أن تتفاوت تبعًا لتفاوت طريقة الأداء"[٣]، وبهذا فإن تحديد نغمة المقطع لا يخضع لأمور معيارية مقنَّنة، ولكن يخضع لطريقة الأداء بحسب ما تحكم به الأذن في مقارنتها بين قمة مقطع وقمة آخر.

ب) أثر نبر المقطع في التنغيم:

النبر أكثر الملامح أو الظواهر التي تتداخل مع التنغيم في علاقة متشابكة ومعقدة، ومعرفته مهمة للغاية في التحليل المقطعي للتنغيم، وعلاقة النبر بالتنغيم معقدة منذ بدايتها في مرحلة الحدوث أو التشكُّل؛ فالتنغيم عاملٌ من عوامل حدوث النبر وتشكُّله، وتمتد هذه العلاقة إلى مرحلة أنه لا يمكن أن تنتقل النغمة من مستوى نغمي إلى آخر إلا من خلال مقطع منبور، وتستمر هذه العلاقة المعقَّدة التي لا يمكن انفكاكها حتى مرحلة تحديد وظيفة كل منهما على حدة، ويلخص الدكتور تمَّام حسَّان هذه العلاقة في أن التنغيم عامل من عوامل النبر، يقول: "إذا سمع أحدنا شخصًا غيره يتكلم فسوف

(١) اللغة العربية معناها ومبناها، ٢٣٠، ٢٣١.

(٢) دراسة الصوت اللغوي، ٢٨٧.

(٣) أصوات اللغة، ١٣٦.

يلاحظ أن الكلام لا يجرى على طبقة صوتية واحدة بل يرتفع الصوت عند بعض مقاطع الكلام أكثر مما يرتفع عند غيره ، وذلك مما يعرف باسم (التنغيم)، وبه يرتبط معنى الجملة إثباتًا أو تأكيدًا أو استفهامًا أو إنكارًا أو غير ذلك. أما المتكلم نفسه فسوف يرى أن الصوت الذى يتم عنده الانتقال من طبقة صوتية إلى طبقة صوتية أخرى يتطلب قدرًا من ضغط الحجاب الحاجز على الرئتين يزداد به مقدار النفَس المطلوب لإحداث الصوت؛ فعندما يُسلَّط هذا المقدار الزائد على الأوتار الصوتية يعلو الصوت عما جاوره فيحظى في السمع بوضوحٍ أكبر من وضوح ما يحيط به من الأصوات. هذا الوضوح النسبيُّ يسمى النبر"(١).

هنا يشير الدكتور تمَّام حسَّان إلى أن التنغيم لابد له من نبر ينتقل عنده من طبقة صوتية إلى أخرى ذات مستوى مختلف، وهذا النبر ينتج عن الضغط، وبهذا فالنبر نتيجة من نتائج حدوث التنغيم، وفي الوقت ذاته ضرورة لهذا الحدوث، وليس الضغط والتنغيم هما الوحيدين المسئولين عن حدوث النبر ولكن يشاركهما التوتر في الصوت وأيضًا الكمية الصوتية، كل هذه الأمور تتشابك وتتضافر حتى يخرج النبر في صوره المتعددة، ومظهر حدوثه هو الوضوح في الصوت أو المقطع، ويشرح الدكتور تمَّام حسَّان هذا الوضوح بوجهٍ آخر فيرى أن "مرجع هذا الوضوح السمعي إلى عنصرين يرتبط أحدهما بظاهرة علو الصوت وانخفاضه وهى ترتبط بدورها بحركة الحجاب الحاجز في ضغطه على الرئتين ليفرغ ما فيهما من هواء فتؤدى زيادة كمية الهواء إلى اتساع مدى ذبذبة الأوتار الصوتية فيكون ذلك من علو الصوت، ويرتبط العنصر الآخر بتوتر التَّماس بين أعضاء النطق في مخرج الصوت أو بعبارة أخرى يأتي النبر من التوتر والعلو في الصوت، اللذين يتصف بهما موقع معين من مواقع الكلام"(٢).

أيضًا يرى الدكتور كمال بشر أن التداخل بين النبر والتنغيم أدى إلى خلط البعض بينهما، مما دعاه إلى التأكيد على ضرورة عدم الخلط بينهما، يقول: "ليس التنغيم هو النبر كما قد يظن بعضهم؛ فالنبر وضوح نسبي في نطق مقطع من المقاطع"(٣) ويرى أن النبر بهذا الوصف عامل مهم من عوامل التنغيم، ولعله هنا يعني أن النبر عنصر

(١) البيان في روائع القرآن، تمَّام حسَّان،١٧٩/١، ١٨٠.

(٢) اللغة العربية معناها ومبناها، ١٧١.

(٣) علم الأصوات، كمال بشر،٥٣٣.

مهم من عناصر تحليل التنغيم، وفي كل الأحوال هو يؤكد على التداخل بين النبر والتنغيم، فيرى أن التنغيم "ينتظم في أثنائه جملة الظواهر الصوتية الأخرى كالنبر Stress والتوقيع Accent ومطل بعض الأصوات والاختلاف في درجة النغمة وتنوعاتها"(١).

ويصف الدكتور عليان بن محمد الحازمي التنغيم بكل ما فيه من تداخلات وتشابكات بالمجموعة المعقَّدة، يقول "التنغيم ـــ في رأينا ـــ مجموعة معقَّدة من الأداء الصوتي بما يحمل من نبرات، وفواصل صوتية، وتتابع مطرد للسكنات والحركات، التي بها يحدث الكلام وتتميز دلالاته"(٢)، ولعل هذا دعاه إلى التأكيد على أن "التنغيم أوسع من أن يُحصر فيما يسمى بهبوط النغمة أو صعودها ولكن كل ما يحيط بالنطق من طرق الأداء. هذه الطرق تشمل الوقف، السكت، علو الصوت، نبر المقاطع، وطول الصوت وغير ذلك"(٣).

أما الدكتور أحمد كشك فيرى أن "الرابط بين الظاهرتين قوي؛ لأن النبر وإن كان ضغطاً على مقطع من المقاطع فإن حصيلة الأنبار تشكل المجموع الصوتي للجملة؛ أي تشكل التنغيم"(٤)، ولعل الدكتور كشك يقصد أن حصيلة الأنبار تشكِّل الإيقاع وذلك بمجيئها في أنساق معيَّنة لها ضوابطها وقوانينها التي تحكمها، أما التنغيم فهو حصيلة نغمات المقاطع.

من كل ذلك نستخلص أن التنغيم عامل من عوامل النبر، والنبر ضرورة من ضرورات تشكُّل التنغيم، ولا يوجد مقطع إلا وله نغمة، في حين أنه قد يكون المقطع منبورًا وقد لا يكون.

ومن أوثق العُرى بين النبر والتنغيم أن "هبوط النغمة أو صعودها أو تحوُّلها عن المستوى السابق في وسط الكلام أو في آخره لا يكون إلا متفقاً مع موقع النبر؛ فلا تتحول النغمة هذا التحول إلا على مقطع منبور، وهذه الصلة الوثيقة بين النبر وبين

(١) علم الأصوات،٥٣٣.

(٢) التنغيم في التراث العربي، ٤.

(٣) التنغيم في التراث العربي، ٥.

(٤) من وظائف الصوت اللغوي، د. أحمد كشك، ٥٥.

التنغيم لا يمكن انفكاكها"[١]، ومن أمثلة ذلك ما جاء في قوله تعالى: (كل شيء هالك إلا وجهه) (القصص من الآية ٨٨)، فعندما قمنا بتمثيل النغمات لهذا المثال وجدنا أن النغمة الثالثة نغمة هابطة وقد جاء هبوطها على المقطع المنبور، أيضاً المقطع قبل الأخير مقطع منبور، وعليه تحوَّلت النغمة من المستوى الثابت إلى المستوى الهابط، وبهذا يتأكد لنا أن النغمة الهابطة والصاعدة لابد أن تُرافق النبر في المقطع، في الوقت الذي تكون فيه النغمة الثابتة في مقطع منبور أو غير منبور.

أيضًا يتضافر النبر والتنغيم في تحديد الوظائف أو المعاني العامة للجملة؛ فالمقطع المنبور الأخير هو المسئول عن تحديد نوع النموذج التنغيمي من خلال اعتبار نغمة هذا المقطع واعتبار المدى العام لنغمات النموذج كله، وعلى كلٍّ فإن الصلة بين النبر والتنغيم في أداء المعاني أيضًا صلة معقَّدة، وأفضل ما يعبِّر عن تشابك العلاقة وتداخلها بين النبر والتنغيم ما ذكره الدكتور تمَّام حسَّان من أنه كثيرًا ما "يقف المرء عند أحد المعاني باحثًا عما إذا كان هذا المعنى وظيفةً النبر بمفرده أو التنغيم بمفرده، ثم لا يستطيع الجزم بأنه وظيفة أحدهما على انفراد"[٢].

ج)أثر الكمية الصوتية والمدة في التنغيم

يعتمد التقسيم المقطعي في الأساس على الكمية الصوتية، فالفرق بين المقطع الأقصر والقصير والمتوسط والطويل فرقٌ في الكمية الصوتية، أي أن التغيُّر في البنية المقطعية يقوم على تغير في الكمية الصوتية، والتغير المقطعي بدوره يتبعه تغير في النبر وبالتالي في الكمية، وقد ذكر الدكتور تمَّام حسَّان أن "الكلمات التي تنتهى بالألف أو الواو أو الياء إذا وقعت إحداها قبل كلمة مبدوءة بالساكن فَقَدَ حرف المد في نهايتها كميته وأصبح بمقدار الحركة من ناحية المدة التي يستغرقها النطق بحرف المد"[٣]، ومثال هذا قولنا: (القاضي العادل)، و(يدعو الله)، و(الفتى العربي)، فهنا حروف المد تفقد كمياتها وتدخل مع الساكن بعدها في مقطع واحد بعد أن كان كلٌّ منهما يمثل مقطعًا منفردًا، وتبعًا لهذا التغير المقطعي يحدث اختلاف في مواضع النبر؛ وبالتالي فإن طول

(١) اللغة العربية معناها ومبناها، ٢٣٠.

(٢) اللغة العربية معناها ومبناها، ٢٣٠.

(٣) اللغة العربية معناها ومبناها، ٣٠٦.

الكمية الذى حدث بين الحرفين يؤدي إلى زيادة علو الصوت أكبر مما لو كانا مقطعين منفردين أي أن التغير يلحق التنغيم.

والكمية الصوتية عاملٌ مهمٌّ من عوامل النبر، فعلو الصوت ـــ التنغيم ـــ ينتج عن حدوث زيادة في كمية الهواء المسلَّط على الوترين الصوتيين، وذلك العلو ضروريٌّ لحدوث النبر، ولقد أشار الدكتور تمَّام حسَّان إلى العلاقة بين الكمية والنبر والتنغيم، وذلك خلال حديثه عن العلل؛ بقول: "إن حروف العلة إن كان لا يبدأ بها المقطع فهي لا شك مركز المقطع العربي حتى لَتَبدو من خلالها صلات معينة بين الكمية وبين النبر والتنغيم ومن ثم تعتبر حروف العلة من العناصر الضرورية في بناء نظامي النبر في الصرف والتنغيم في النحو"(١)

وطول المقطع أو قصره له دلالات خاصة في وظيفة التنغيم؛ فمثلا يُستخدم المقطع الطويل في مثل توجيه عتاب لشخص ما بأسلوب لطيف، وقد عبَّر الدكتور تمَّام حسَّان عن هذا المعنى بقوله: "يحدث أحياناً أن يستعمل المتكلم النغمة على صورة تقوِّى من العلاقة بين إحدى كلمات السياق وبين معناها الذى سيقت له؛ فإذا قال: (بلاد بعيدة) عبَّر عن شدة البعد بمد الياء مدًّا طويلا وكذلك الفتحة التي بعدها من كلمة (بعيدة) ونطق الياء والفتحة على نغمة واحدة مسطحة عالية نوعًا ما، وإذا أراد أن يقول إنه قذف حجرًا إلى أعلى فوصل إلى علوٍّ شاهقٍ فلربما منح ذلك التنغيم نفسه لكلمة (فوق) فمد حرف المد منها بصورة ملحوظة ورفع الصوت به، وهذه ظاهرة يستغلها ملحنو الأغاني كثيرًا"(٢)

ولعل مما يندرج في هذا السياق ما جاء من مصطلحات الترنُّم عند سيبويه، فيقول في باب الندبة: "اعلم أنَّ المندوب مدعو ولكنه متفجع عليه، فإن شئت ألحقت في آخر الاسم الألف؛ لأن الندبة كأنهم يترنمون بها"(٣)، ومنه مصطلحا مد الصوت والتطريب عند ابن يعيش ، حيث يقول: " اعلم أنَّ المندوب مدعو ولذلك ذكر مع فصول النداء، لكنه على سبيل التفجع، فأنت تدعوه وإن كنت تعلم أنه لا يستجيب كما تدعو المستغاث به، وإن كان بحيث لا يسمع كأنه تعده حاضراً، وأكثر ما يقع في كلام النساء لضعف

(١) اللغة العربية معناها ومبناها، ٧٢.

(٢) اللغة العربية معناها ومبناها، ٣١٠.

(٣) الكتاب، سيبويه، ٢/٢٢٠.

احتمالهن وقلة صبرهن، ولما كان مدعوا بحيث لا يسمع أتوا في أوله (بياء أو واو) لمد الصوت، ولما كان يسلك في الندبة والنوح مذهب التطريب زادوا الألف آخرًا للترنم"[١] ويقول أيضًا: "وأما وا فمختص به الندبة لأن الندبة تفجع وحزن والمراد رفع الصوت ومده لإسماع جميع الحاضرين"[٢].

ومنه ما ذكره ابن جنى من مصطلحات التمطيط والتطويح والتطريح ومطل الأصوات أو الحركات واختلاسها، يقول ابن جني في باب (حذف الصفة لدلالة الحال عليها) معلِّقًا على قوله (كان والله رجلا): "فتزيد في قوة النطق بـــ (الله) وتتمكَّن في تمطيط اللام وإطالة الصوت بها وعليها؛ أي رجلاً فاضلاً أو شجاعاً أو كريماً أو نحو ذلك. وكذلك تقول: سألناه فوجدناه إنساناً! وتمكِّن الصوت بإنسان وتفخمه، فتستغني بذلك عن وصفه بقولك: إنساناً سمحاً أو جواداً أو نحو ذلك، وكذلك إن ذممته ووصفته بالضيق قلت: سألناه وكان إنساناً وتزوي وجهك وتقطبه فيغني ذلك عن قولك: إنساناً لئيماً أو لحزاً أو مبخلاً أو نحو ذلك"[٣].

ومنه ما جاء في المحتسب من قوله: "وعلى ذكر طول الأصوات وقصرها لقوة المعنى المعبر بها عنها، وضعفها – ما يحكى أنَّ رجلا ضرب ابنًا له، فقالت له أمه: لا تضربه، ليس هو ابنك. فرافعها إلى القاضي فقال: هذا ابني عندي وهذه أمه تذكر أنه ليس مني. فقالت المرأة: ليس الأمر على ما ذكره وإنما أخذ يضرب ابنه فقلت له: لا تضربه ليس هو ابنك ؟ ومدت فتحة النون جدًّا ، فقال الرجل: والله ما كان فيه هذا الطول الطويل. والأمر يذكر للأمر على تقاربهما، أو تفاوتهما إذا كان ذلك للغرض موضحا وإليه بطالبه مفضيًا"[٤]، فكل هذه مصطلحات جاءت في سياق الكمية الصوتية والمدة الصوتية، والتي تبين من خلالها أن الكمية والمدة عاملان مهمَّان من عوامل تشكيل التنغيم وتحوُّل دلالته من غرض إلى آخر.

(١) شرح المفصل، ٢/٢٣٠.

(٢) شرح المفصل، ٢/٢٣٠.

(٣) الخصائص، ابن جنى، ٢/ ٢٥٢.

(٤) المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، ابن جني، ٢ / ٢٥٥.

الخاتمـــة

مما سبق يتبين لنا التنغيم يتشكل من خلال عدد من العناصر المتداخلة معًا والتي لا ينفك أحدها عن الآخر، والمقطع الصوتي هو أهم هذه العناصر على الإطلاق؛ فهو حامل النغمة المفردة، ويمكننا حصر أهم ما توصلت إليه الدراسة من نتائج في النقاط التالية:

ــ أنه لا سبيل إلى تحليل التنغيم ومعرفة آليات تشكله إلا من خلال التحليل المقطعي، فالمقطع الصوتي هو حامل النغمة وكل العناصر التي يحملها المقطع تتضافر معًا لتشكيل التنغيم.

ــ أن النغمة لا يمكن لها أن تتحول من مستوى إلى آخر إلا من خلال مقطع منبور.

ــ أن الكمية الصوتية للمقطع تؤثر في تحول اللحن التنغيمي من هابط إلى صاعد أو العكس مثلما مرَّ في مثال كلام المرأة التي قاضاها زوجها فغيرت اللحن التنغيمي بمد المقطع فتحول اللحن من هابط يفيد التقرير إلى صاعد يفيد الاستفهام.

ــ أن التنغيم هو محصلة الدرجات للمقاطع الصوتية، فهو الترتيب الأفقي لمجموع نغمات الحدث اللغوي.

ــ أنه لا يمكن تحليل التنغيم إلا من خلال بنية لغوية أو حدث لغوي محدد كميًّا وهو ما أشار إليه البحث بالمجموعة الكلامية والمجموعة المعنوية.

المراجع

١ **ابن جنى، أبو الفتح عثمان**. *المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها*، دراسة وتحقيق: محمد عبدالقادر عطا، ط١. بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٨م.

٢ **ابن جنى، أبو الفتح عثمان**. *الخصائص*، تحقيق: عبدالحكيم بن محمد. القاهرة: المكتبة التوفيقية، بدون تاريخ نشر.

٣ **ابن يعيش، موفق الدين**. *شرح المفصل*. القاهرة: مكتبة المتنبي، بدون تاريخ نشر.

٤ **أنيس، إبراهيم**. *الأصوات اللغوية*. مصر: مكتبة نهضة، ١٩٧٦م.

٥ **أنيس، إبراهيم**. *موسيقى الشعر*، ط٦. القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية،١٩٨٨م.

٦ **أيوب، عبدالرحمن**. *أصوات اللغة*، ط٢. مصر: مطبعة الكيلاني،١٩٦٨م.

٧ **الباحث**. *أثر التنغيم في الجملة العربية؛ دراسة تركيبية دلالية*، رسالة ماجستير، مصر، قسم اللغة العربية، كلية الآداب بقنا، جامعة جنوب الوادي، ٢٠٠٤م.

٨ **باي، ماريو**. *أسس علم اللغة*، ترجمة د. أحمد مختار عمر، ط٢. القاهرة: عالم الكتب،١٩٨٣م.

٩ **بشر، كمال**. *علم الأصوات*. القاهرة: دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع،٢٠٠٠م.

١٠ **الحازمي، عليان بن محمد**. *"التنغيم في التراث العربي"*. مجلة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها، مجلد ١٤، العدد (٢٣)،(١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م).

١١ **حجازي، محمود فهمي**. *مدخل إلى علم اللغة*. مصر: دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٨م.

١٢ **حسَّان، تمَّام**. *البيان في روائع القرآن*، ط٢. القاهرة: عالم الكتب،٢٠٠٠م.

ـ *اللغة العربية معناها ومبناها*، ط٣. القاهرة: عالم الكتب، ١٩٩٨م .

ـ *مناهج البحث في اللغة*. القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية،١٩٩٠م.

١٣ **خفاجي، محمد علي رزق**. *علم الفصاحة العربية؛ مقدمة في النظرية والتطبيق*، ط٢.القاهرة: دار المعارف، ١٩٨٢م.

١٤ **خليل، حلمي**. *مقدمة لدراسة اللغة*. الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية،١٩٩٦م.

١٥ **السعران، محمود**. *علم اللغة مقدمة للقارئ العربي*. القاهرة: دار الفكر العربي، ١٩٦٢م.

١٦ **سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر**. *الكتاب*، تحقيق وشرح: عبد السلام هارون، ط٣. القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٩٩٨م.

١٧ **الضالع، محمد صالح.** *"قضايا أساسية في ظاهرة التنغيم في اللغة العربية"*، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، مجلس النشر العلمي بجامعة الكويت، العدد (٦٧)، (١٩٩٩م).

١٨ **عمر، أحمد مختار.** *دراسة الصوت اللغوي*. القاهرة: عالم الكتب،١٩٩٠م.

١٩ **عوض، سامي، وصلاح الدين سعيد حسين.** *التشكيل المقطعي، مفهومه وعلاقته بالنبر اللغوي*. مجلة جامعة تشرين للدراسات والبحوث العلمية، سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (٣١) العدد (٢) ٢٠٠٩م.

٢٠ **عوض، سامي، وعادل علي نعامة.** *"دور التنغيم في تحديد معنى الجملة العربية"*، مجلة جامعة تشرين للدراسات و البحوث العلمية، سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (٢٨) العدد (١)، (٢٠٠٦).

٢١ **كانتينو، جان.** *دروس في علم أصوات العربية*، ترجمة د. صالح القرمادي. تونس: مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية، ١٩٦٦م.

٢٢ **كشك، أحمد عبدالعزيز.** *من وظائف الصوت اللغوي؛ محاولة لفهم صرفي ونحوي ودلالي*، ط١. القاهرة، ١٩٨٣م.

٢٣ **ليد فوجد، بيتر.** *مبادئ علم الأصوات الأكوستيكي*، ترجمة: جلال شمس الدين، ومراجعة: سعد مصلوح، بدون بيانات عن الناشر، ١٩٩٢م.

٢٤ **ليلى، سهل.** *"التنغيم وأثره في اختلاف المعنى ودلالة السياق"*. مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد (٧) ، يونيه(٢٠١٠م).

٢٥ **الهليس، يوسف.** *"علم الصوتيات الموجي والسمعي عند علماء المسلمين القدماء"*. المجلة العربية للدراسات اللغوية مجلد ٣، العدد (٢)، (١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م).

The Syllable analysis of Intonation in the Arabic language

Esam Tammam Abd El-Hameed Ali
Instructor at Faculty of Arts in Qena
South Valley University

***Keywords*: Intonation, Syllable, Stress, Acoustic Quantity, Duration Quantity.**

Abstract. This research deals acoustic elements that contribute to the formation of intonation and therefore in its analysis, It deals the syllable because it carries a single tone, which is one of the tones that form intonation, It also carries stress; which the single tone changes throw it from the degree of the ups and downs. In this research we discuss the syllable and its definition and how we determine it in the speech and its divisions also, It also deals stress as a value that overlap and intertwine in its relationships with intonation; to shows its definition and the difference between it and intonation; and the complex interlocking relationship between them, and shows also its divisions. This research also deals values of acoustic quantity and duration as two important elements of the elements that control in the intonation of speech.